صناعة موسوعات للأطفال

محمود قاسم
كاتب – مصر

الموسوعات صناعة ثقافية ثقيلة للغاية في بلاد الثقافة خاصة موسوعات الأطفال، أما في بلادنا العربية فهي تكاد تكون معدومة ولا يوجد من يتخصص في عملها أو مؤسسات تشجع على إصدارها

الموسوعة إصدار معرفي إما متخصص أو عام تضم مجموعة محددة من المعارف يستطيع القارئ بها أن يلمَّ بالموضوع، أما المتخصص فإنه يلجأ إلى تفاصيل أكثر تعقيدًا، والموسوعات المهمة يجب أن تكون ملونة ومطبوعة بشكل فخم بهدف جذب الاهتمام. ولن أنسى أبدًا بائع الكتب القديمة في سوق الأشياء المستعملة بمدينة چنيف، الذي أهداني عشرات الموسوعات في نهاية يوم من التسوق ويبدو أنه استصعب العودة بها من حيث أتى فمنحها لي كهدية، وبكل حماس نقلت هذه الموسوعات الفخمة جدًا إلى مكتبة الفندق، وعندما عدتُ إلى مصر لم أستطع حمل سوى عشرة فقط منها، نبهتني هذه الكتب إلى أن ثقافة الدول وحضارتها تُقاس بما لديها من إصدارات موسوعية خاصة للأطفال، فقد كان من بين هذه الكتب موسوعات تاريخية وجغرافية وعن الطيور والحيوانات، والطريف أنني حملت هذا العبء الثقيل في الوزن إلى القاهرة لأنني شعرت بالقيمة الكبرى لما أحمله، وكنت قد أصدرتُ حتى تلك الفترة بعضًا من موسوعات الأطفال ضمن نشاطي الملحوظ لهذا الشأن، وسوف أتكلم عن هذه التجربة باختصار.

كُتَّاب الأطفال والرسامون هم أكثر فئة مظلومة في بلادنا، فنادرًا ما يحفظ الطفل القارئ اسم المؤلف وهناك تصوُّر عام أن كاتب الأطفال هو مؤلف الأشياء الصغيرة كما أنه مُحرَّم على كُتاب الأطفال الحصول على الجوائز الكبرى حتى عام مضى، وبالتالي فلا توجد بيانات متكاملة عن سِيَرهم الأدبية والحياتية؛ ومن هنا بدأت صعوبة عمل أول موسوعة عن كُتاب الأطفال في العالم العربي، فكانت السيدة الدكتورة/ عبلة إبراهيم مدير إدارة الطفولة بجامعة الدول العربية هي أول من تحمَّس لفكرة عمل كتاب موسوعي عن كُتاب الأطفال في العالم، وبدأنا العمل من خلال مطالبة الإدارات الثقافية بمَدِّنا بما هو متاح عن كتاب الأطفال في كل دولة، وصدرت الطبعة التجريبية مع أول هذا القرن وأُرسلت لمراجعتها لدى أكثر من جهة عربية حتى صدرت الطبعة الأولى، على أمل أن تكون هناك طبعات تالية يتم في كُلٍّ منها تزويد ما هو ناقص أو تصحيح ما هو خطأ.

في تلك الفترة كنت أعمل بالتوازي على إصدار كتاب موسوعي أكبر حجمًا في المعلومات ويضم أكبر عدد من الشخصيات التي كتبت للأطفال، بالضبط هم المؤلفون الذين لهم كتب في ثقافة الطفل، باعتبار أنه من الصعب حصر الكُتاب الذين كتبوا للأطفال في المجلات المصرية كثيرة العدد منذ بداية القرن العشرين، أبدت الكاتبة فاطمة المعدول حماسًا

شـديدًا للفكـرة وأصـدرت كتـاب هـؤلاء كتبـوا للأطفـال، يتضمـن كل الكُتـاب في هـذا المجـال بمعلومـات وافيـة حسـب العطـاء وصـدر الكتـاب للمـرة الأولى عـام 1999، وهـو نفس الكتـاب الـذي تحمس لـه محمـد عبـد الحافـظ الرئيـس الحـالي للمركـز في عـام 2019؛ أي بعـد عشـرين عامًـا حيـث تمـت إضافـة جميـع الكُتـاب الذيـن دخلـوا المجـال طـوال هـذه الحقبـة، وهـو الآن يعمـل بحمـاس علـى إصـدار الطبعـة الثانيـة مـن موسـوعة هـؤلاء رسـموا للأطفـال بعـد عشـرين عامًـا مـن صـدور الطبعـة الأولى، الـتي أعددتهـا مـع الفنـان التشـكيلي صـلاح البيصـار تحـت إشـراف فاطمـة المعـدول.

الكتابـان مـن نـوع الموسـوعات وأهميـة صدورهمـا بالنسـبة إلى الطفـل هـو أنـه علـى القـارئ الصغيـر أن يعـرف معلومـات عـن المؤلـف الـذي يقـرأ لـه والصـورة الشـخصية لـه (بورتريـه)، وبالنسـبة إلى موسـوعة هـؤلاء رسـموا للأطفـال فإنهـا صـدرت ملونـة والقَطْـع كبـير، وتضـم معلومـات عـن الرسـام وصورتـه الشـخصية وبعـض رسـومه للأطفـال. هـي كتـب صالحـة للصغـار والكبـار وقـد حرصـت دائمًـا علـى عمـل إضافـات خاصـة بكـل مـا هـو جديـد وحديـث؛ حـتى لا تتقـادم هـذه الكتـب الموسـوعية وتظـل طازَجـة، وكان الهـدف هـو خلـق نـوع جديـد مـن العلاقـة بـين الطفـل والمبـدع.

مـن ناحيـةٍ أخـرى، قدمـت للمكتبـة العربيـة مـن خـلال الهيئـة العامـة للاسـتعلامات عـددًا مـن الموسـوعات الخاصـة للأطفـال فقـط، منهـا: مائـة كتـاب يجـب أن تقرأهـا قبـل أن تكـبر، حاولـت فيـه تقديـم أفضـل مائـة كتـاب إبداعـي عالـمي وعـربي يجـب أن يقرأهـا الطفـل قبـل أن يبلـغ سـن الشـباب: مثـل "أوليفـر تويسـت"، "روبنسـون كروزو"، "جزيـرة الكـنز"، "العجـوز والبحـر"، و"الأيـام"، وهـذا النـوع مـن الكتـب الموسـوعية يعتمـد علـى نشـر كل مـا يخـص الكتـاب والمؤلـف مـع الاسـتعانة بالصـورة والرسـم، وأيضًـا الإشـارة إلى الأفـلام المأخـوذة عـن هـذه الأعمـال، مثـل "حـول العالـم في 80 يومًـا"، وهـذا الكتـاب كان محـط أنظـار الكثـير مـن الناشـرين؛ خاصـة مكتبـة الأسـرة الـتي أصدرتـه بعنـوان: "موسـوعة أجمـل الكتـب"، كمـا صـدر في ليبيـا وفي إطـار فخـم مرسـوم بشـكل جيـد قـد تـم الاعتنـاء بإخراجـه؛ ليحقـق هدفـه الأكبـر وهـو أن يكـون جذابًـا ومقـروءًا .

أمـا الموسـوعة الثانيـة فكانـت "موسـوعة العلمـاء للأطفـال" حـول لحظـات التنويـر في حيـاة الكثـير مـن علمـاء العالـم والعـرب، مثـل ابـن سـينا وابـن النفيـس وجابـر بـن حيَّـان وأحمـد زويـل وأيضًـا إديسـون، ولـوي باسـتير وماركـوني، وقـد نُشـرت هـذه القصـص مرسـومة بشـكل جيـد جـدًا للفنـان الراحـل ممـدوح طلعـت في مجلـة العـربي الصغـير شـهريًا، ثـم نشـرناها في كتـاب ليمتـد النفـع في دوائـر زمنيًـا ومكانيًـا.

والمقصـود بلحظـات التنويـر هـي اللحظـة الـتي تحـول فيهـا الطفـل مـن شـخص عـادي إلى عالـم يفكـر، مثـل اللحظـة الـتي سـقطت فيهـا التفاحـة مـن فـوق الشـجرة إلى جـوار إسـحق نيوتـن، واللحظـة الـتي توصـل فيـه زويـل إلى الفيمتـو ثانيـة.

الموسوعات صناعة ثقافية مهمة فيما يخص الأطفال

ظلـت فكـرة الموسـوعية تؤرِّقـني خاصـةً وأنـا أعمـل رئيـس تحريـر لسلسـلة كتـب الهـلال، حيـث حرصـت علـى إصـدار أعمـال موسـوعية في مجـالات متعـددة فأصدرنـا كتبًـا رخيصـة الثمـن جـدًا عاليـة القيمـة لكُتـاب تاريـخ متخصصـين، مثـل "الموسـوعة السياسـية للأطفـال"، و"موسـوعة نهـر النيـل للأطفال" و"موسـوعة أفيشـات أفـلام الكارتـون".

يجـب أن نتوقـف عنـد موسـوعة مجـلات الأطفـال في العالـم العـربي الـتي صـدرت بتعضيـد كُلٍّ مـن إدارة الطفولـة بجامعـة الـدول العربيـة والمجلـس العـربي للطفولـة والتنميـة، حيـث أشـرفت السـيدة/ إيمـان بهـيّ الديـن علـى صـدور موسـوعة فريـدة مـن نوعهـا، عبـارة عـن رصـد هجـائي لـكل مجـلات الأطفـال في العالـم العـربي في القـرن العشـرين وحـتى صدورهـا عـام 2005، وعمـل بطاقـة وفـيرة المعلومـات عـن المجـلات الـتي صـدرت للأطفـال. ويُعـدُّ الكتـاب الموسـوعي الملـون عمـلًا فريـدًا في تاريـخ ثقافـة الطفـل، وكَـمْ أتمـنى لـو تـم تجديـد صـدوره مـع إضافـات ضروريـة.

إنـه عالـم احتـاج إلى جهـد شـاق وتكاليـف كبـيرة وإصـرار ملـيء بالعلـم؛ وأيضًـا يحتـاج الآن أن نكتـب عنـه ونقدمـه للأجيـال الحاليـة والقادمـة.